



من

عَلَّمَ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ

إِلَى شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ



عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

استوقفني شاب مسلم اسمه **عبدالله** يرتفع الأذان وتقام الصلاة بجواره وهو غير عابيء بذلك النداء وكأنه موجه لغيره من أصحاب الديانات الأخرى! واطلقت بصري فإذا شاب آخر اسمه **عبدالله** وهو يهز رأسه طرباً ويهتز لحمه وعظمه على أنغام أصوات مغنٍ غربي! وقلبت إحدى المجلات فإذا بمن اسمه **عبدالله** وهوايته الرقص والموسيقى! وشرقت وغربت.. وتأملت فإذا الأمر أعظم من ذلك؟

عندها انطلقت استحث الخطا وأسابق الركب عبر أربعة عشر قرناً لأرى حال من كان اسمه **عبدالله**! فإذا أمة من الناس رفعوا للأمة رأساً وأعلو للدين مناراً، ولا يزال التاريخ يردد جهادهم وصبرهم على صغر سن فيهم وحادثة دين منهم! لكن نتوقف مع شخص مرت به أحداث خطيرة ومواقف عظيمة وقابل رؤساء أعظم دول عصره، استقبله كسرى ملك الفرس وقيصر عظيم الروم وهو الرجل العربي الذي لا تهمة البرتوكولات ولا التقاليد الرسمية.. لا يعرف إلا شمساً محرقة وسماء صافية وخباء في ظل شجرة يحوي كسرة خبز!

أقبل ميمماً وجهه نحو إيوان كسرى وملك قيصر ففتحت له الكنوز والخزائن! وألقت إليه الحضارة في حينه بركابها لكنه أبى أن يمتطيها وأعرض عن زينتها.. قاسمة كسرى ملكه الواسع وغناه الفاحش لكنه رفض! قدم له ابنته الفاتنة لكنه أشاح بوجهه وأبى! نعم رفض تمييع دينه وأبى ترك ملته وجانب الدنيا.. مؤمناً يستشرف الجنة ويسعى إلى نيلها! لنطلق نرى ما يقوله أصحاب السير عن هذا الرجل الفذ!

مع إقامة الدولة الإسلامية في المدينة ولرغبة إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ولتبليغ هذا الدين إلى أقصى الأرض.. في السنة التاسعة عشرة للهجرة بعث عمر بن الخطاب رضي **الله** عنه جيشاً لحرب الروم فيه وجوه الأمة ورجالها. وقد أفزع قيصر عظيم الروم هذا الزحف القادم من صحراء جزيرة العرب القاحلة وناله الرعب واستولى على قلبه الهلع. فأمر رجاله إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين أن يأتوا به إليه ليرى حالهم ويسمع من أفواههم.. وكان ذلك الأسير الذي أخذ إلى ملك الروم هو **عبدالله** بن حذافة رضي **الله** عنه!.. لم يكن قيصر إلا رجلاً داهية وسياسياً محنكاً يعرف مواطن الضعف عند الرجال ويعلم محبة النفوس للدنيا.. تأمل قيصر في طلعة **عبدالله** بن حذافة وصلابة عوده وقوة

شكيمته فبادره قائلاً: إني أعرض عليك أمراً.. . أعرض عليك أن تنتصر فإن فعلت
خليت سبيلك وأكرمت مثواك!

إنه عرض مغر لأسير ينتظر الموت لكن القلوب تختلف والرجال تتباين.. . كان
الرد الفوري والحازم ممن عمر الإيمان قلبه: هيهات هيهات.. . إن الموت لأحب
إليّ ألف مرة مما تدعوني إليه!

تعجب قيصر وأعاد الكرة مرة أخرى بعرض آخر يسيل له لعاب الكثير.. . قال
له: إني لأرى فيك صفات الرجل الشهم العاقل.. . فأجبنى إلى ما أعرضه عليك.. .
فإن أجبتني أشركتك في ملكي وقاسمتك سلطاني! تعال أيها العربي - الذي أحرقت
الشمس وجهه - أقاسمك مملكة الروم العظيمة وأزوجك ابنة سيد الروم الجميلة!
عروض متتالية لرجل فقير مسكين رث الثياب مُجهد الخطوات.. . لا يملك
حفنة من الأرض مقيد بالسلاسل ومكبل بالقيود والموت يحوم فوق رأسه! فماذا
كان جوابه في تلك اللحظات الفاصلة في حياته!

قال **عبدالله** بن حذافة رضي **الله** عنه بثقة المؤمن بربه الراغب فيما عنده: **والله** لو
أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد
طرفة عين ما فعلت! نعم ليس ملكك فحسب.. . وليس تنصراً مستمراً.. . بل رجوع
طرفة عين ما فعلت!

رأى قيصر أن هذا المؤمن لا تلين له قناة ولن تنفع معه وسائل الإغراء وطرق
الترغيب.. . فهب واقفاً وهو يصرخ متهدداً متوعداً: إذا اقتلك! قال ذلك والجلاد
على رأس **عبدالله** والسيف مجرد من غمده.. . وانتظر قيصر الجواب من **عبدالله** فإذا
به يأتي كالسهم محمل بالإيمان والثبات: أفعل ما بدا لك!

فأمر به فُصِّل وقال لقناصته: ارموه قريباً من يديه وهو يعرض عليه التنصر!
ولكن **عبدالله** والسهام تتخطفه أبى! فقال: ارموه قريباً من رجله وهو يعرض عليه
مفارقة دينه فأبى!

عندها دعا قيصر بقدر عظيم فصب فيه الزيت ورفع على النار حتى غلى الزيت
وارتفع صوته و**عبدالله** ينظر ثم أتى بأسير من أسارى المسلمين، فأمر به أن يُلقى
فيها فألقى أمام عين **عبدالله**.. . فإذا لحمه يتفتت وينسلخ ويظهر عظمه.. .

عند هذا المنظر الرهيب والموقف العصيب التفت قيصر إلى **عبدالله** بن حذافة

ودعاه إلى النصرانية والأحداث متسارعة والقدرة تغلى . . لكن عبد الله كان أشد إباء لها من قبل فلم تلن له قناة ولم تفت منه عضدا!

زاد حنق قيصر . . وقال ما هذا الرجل الذي أمامي أعرض عليه ملكي وابنتي فيرفض وأعرض بين يديه النار والقدرة تغلي زيتاً فيأبى . . عندها أمر رجاله وقد تطاير الشرر من عينه : هيا القوا به مثل صاحبيه!

حُمل عبد الله على عجل وارتفعت الأيدي لتلقي به في القدر . . فأبصر أحد رجال قيصر منه دمعة تحدرت . . فقال لقيصر فرحاً بالانتصار : لقد بكى ! وظن أنه قد جزع من ما يرى من الأهوال والشدائد ورضي بالعروض المقدمة إليه ، فقال قيصر : ردوه عليّ !

فلما ردوه إليه ومثل أمامه عرض عليه النصرانية فرفضها . فقال له متعجباً : ويحك ماذا أبكاك !

قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه : أبكاني أني قلت في نفسي : تلقى الآن في هذه القدر فتذهب نفسك ، وقد كنت اشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله .

فتعجب الطاغية الظالم وقال : هل لك أن تُقبل رأسي وأطلق سراحك . فقال عبد الله وهو يرى أمة من المسلمين في الأسر : وعن جميع أسارى المسلمين كلهم ! وافق القيصر وعبد الله يقول في نفسه : أتى الفرج لهؤلاء الأسرى . . نعم أقبل رأس الظالم ويطلق أسارى المسلمين . .

دنا بعزة وهيبة وقبل رأس قيصر !

وعندما وطأت قدما عبد الله بن حذافة المدينة النبوية كان الخبر قد سبقه إلى أهلها . . قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو فرح مسرور بثبات عبد الله وقوة إيمانه : حقُّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ بذلك ! فقام وقبل رأس عبد الله بن حذافة رضي الله عنه .

يا عبد الله - هذا الزمن - دعنا نقبل رأسك وانطلق إلى المسجد مصلياً . . دعنا نقبل رأسك وكن ثابت الإيمان قوي الرسوخ ! يا عبد الله دعنا نقبل رأسك وفك أسرك من رق الشهوات ومواطن الريب والخنا . دعنا نقبل رأسك مرات ومرات ولا تكن إمعة يسيرك الأعداء حيث شاءوا وهو ما نراه في مظهرك ومخبرك !